مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفرا ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك قيل
لبشر ان فلانا كثير الصوم والصلوة فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره وانما حال هذا اطعام
الطعام للجايع والانفاق على المساكين فهذا افضل له من تجويعه لنفسه ومن صلوته لنفسه مع جمع الدنيا
ومنعه الفقرا وفرقة اخرى غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكوة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الردي
الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقرا من يخدمهم ويتردد في حوايجهم او من يحتاجون اليه في المستقبل للاستسخار
في خدمة او من لهم فيه على الجملة غرض او يسلمون الى من يعينهم او واحد من الاكابر ممن يستظهر بحشمه
لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور
ويظن انه مطيع لله تعالى وهو فاجر اذ طلب بعبادة الله تعالى عوضا من غيره فهذا وامثاله من غرور ارباب
الاموال وهذا ايضا لا يحصى وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على اجناس الغرور وفرقة اخرى من
عوام الخلق وارباب الاموال والفقرا اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا
ذلك عادة ويظنون ان لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ اجرا وهم مغرورون لان فضل مجلس
الذكر لكونه مرغبا في العمل والخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان
ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره فاذا قصر عن الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر بما
يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكا وربما تدخله رقة كرقة النسا فيبكي وربما يسمع كلاما
مخوفا فلا يزيد على ان يصفق بيديه ويقول يا سلام سلم او نعوذ بالله او سبحان الله ويظن انه قد اتى بالخير كله
وهو مغرور وانما مثاله المريض يحضر مجالس الاطبا فيسمع ما يجري او الجايع يحضر عند من يصف له الاطعمة
اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يغني عنه من مرضه وجوعه شيئا فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل
بها لا يغني من الله تعالى شيئا فكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا تغير افعالك حتى تقبل على الله تعالى
وتعرض عن الدنيا اقبالا قويا او ضعيفا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رايته وسيلة لك كنت مغرورا
فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور امر لا يتخلص عنه احد ولا يمكن الاحتراز عنه وهذا لا يوجب الاحراز
عنه وهذا يوجب الياس اذ لا يقوى احد من البشر على الحذر من خفايا هذه الافات فاقول الانسان اذا فترت
همته في شي اظهر الياس واستعظم الامر واستوعر الطريق فاذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط
بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول الى الغرض حتى ان الانسان اذا اراد ان يستنزل الطير من جو السما
مع بعده منه فاستنزله واراد ان يستصعد الحوت من اعماق البحر فاستصعده واراد ان يستخرج الذهب
والفضة من تحت الجبال فاستخرجها واراد ان يقتنص الوحوش المطلقة في البراري والصحاري فاقتنصها واراد
ان يستسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات فاستسخرها واراد ان ياخذ الافاعي والحيات ويعبث بها
فاخذها واستخرج الترياق من اجوافها واراد ان يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت فاتخذه

واراد ان يعرف مقادير الكواكب وعرضها وطولها فاستخرج بدقيق الهندسة وهو مستقر على الارض وكل ذلك
باستنباط الحيل واعداد الالات فسخر الفرس والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور وهيا الشبكة لاقتناص
السمك الى غير ذلك من دقايق الادمي كل ذلك لان همه امر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو اهمه امر اخرته
فليس عليه الا شغل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا محال
ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو اصبح وهمه هذا الهم الواحد بل هو كما يقال
لو صح منك الهوى ارشدت للحيل فهذا شي لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه
ايضا من صدقت ارادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم اسبابها فان
قلت فقد قربت الامر فيه بعد ان اكثرت بذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور فاعلم انه
ينجو منه بثلثة امور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلثة امور لا بد منها اما العقل فاعني به الفطرة الغريزية
والنور الاصلي الذي به يدرك الانسان حقايق الاشيا فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا
يقدر على التحفظ من الغرور فصفا العقل وذكا الفهم لا بد منه في اصل الفطرة وهذا ان لم يفطر فاكتسابه غير ممكن نعم
اذا حصل اصله امكن تقويته بالممارسة فاساس السعادة كلها العقل والكياسة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تبارك الذي قسم العقل بين عباده اشتاتا ان الرجلين ليستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما
ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب احد وما قسم الله لخلقه حظا هو افضل من العقل واليقين وعن ابي الدردا
انه قيل يا رسول الله ارايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله
ويعود المريض ويشهد الجنايز ويعين الضعيف ما تعلم منزلته عند الله تعالى يوم القيمة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما يجزى على قدر عقله وقال انس اثني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقله قالوا يا رسول الله نقول من عبادته وفضله ومن خلقه وتقول
كيف عقله فان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس على قدر عقولهم وقال
ابو الدردا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اخبر برجل بشدة عبادة سال عن عقله فاذا قالوا حسن قال
ارجوه وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ قال وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشي قال
لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون والذكا وصحة غريزة العقل نعمة من الله تعالى في اصل الفطرة فان فاتت بلادة
وحماقة فلا تدارك لها الثاني المعرفة واعني بها ان يعرف اربعة امور يعرف نفسه ويعرف ربه عز وجل
ويعرف الدنيا ويعرف الاخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا في هذا العالم واجنبيا من
هذه الشهوات البهيمية وانما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه فقط ولا يتصور
ان هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه جل وعز واستعن على هذا بما ذكرناه من كتاب المحبة وفي
كتاب شرح عجايب القلب والتفكر وكتاب الشكر اذ فيه اشارات الى وصف النفس والى وصف جلال الله تعالى